

اغتيال إسماعيل هنية: هدف نتياهو الوحيد هو إشعال النار في المنطقة



ترجمة وتحرير: نون بوست

بقتل إسماعيل هنية، رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، في طهران، أرسل رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتياهو أوضح رسالة حتى الآن إلى إيران وحركات المقاومة بأنه يريد حربًا إقليمية.

وبإنكاره أي تورط أو معرفة مسبقة بغارة الطائرة المسيرة التي قتلت هنية، سبب وزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن ضررًا إضافيًا بمصداقية واشنطن المنهارة.

كان المسؤولون الأمريكيون يطلعون الصحفيين في غضون ساعة من وقوع الهجوم على مقتل عضو بارز في محور المقاومة. ولم يحددوا أين أو من هو، وفي البداية كان يُعتقد أنها ضربة ثانية في لبنان بعد استهداف فؤاد شكر، القائد العسكري الأبرز في حزب الله والذراع اليمنى للزعيم حسن نصر الله.

ولكن من المؤكد أن المسؤولين الأمنيين الأمريكيين كانوا على علم بضربة الطائرة المسيرة التي استهدفت هنية في غضون دقائق من وقوعها. إن تصوير نتياهو كزعيم واقع في قبضة الفاشيين اليهود المتصهينين في إصداره الأمر بهذه الضربة، ليس سوى نصف القصة.

عندما التقيت به قبل عقدين من الزمن عندما كنت منبوذًا سياسيًا ومنبوذًا من قبل مضيفي الليبراليين الصهاينة الذين وصفوه بالمتطرف، لم يكن لدى نتياهو سوى فكرة واحدة فقط ليقولها: كانت إيران هي السفينة الأم، ولم تكن حماس وحزب الله سوى حاملتي طائراتها.

لا يمكن أبدًا استبعاد إيمان نتياهو الدائم بأنه سيقود أمته إلى النصر من خلال سحق القضية الوطنية الفلسطينية ومنع دولة فلسطينية من أن ترى النور.

واليوم، قد يعتقد أنه على أعتاب تحقيق إنجازه السياسي النهائي كأطول رئيس وزراء إسرائيلي خدم لأطول فترة في الحكم، من خلال جر الولايات المتحدة وبريطانيا إلى حرب مع إيران.

تمزق المفاوضات

أرسل نتنياهو رسائل أخرى أيضًا من خلال قتل هنية الذي لم يكن له أي ضلع في هجوم حماس في السابع من أكتوبر/تشرين الأول، والذي كان مكتبه مسؤولًا عن المفاوضات مع الوسيطين قطر ومصر. لقد نسف نتنياهو المفاوضات وأي تفكير في استعادة الرهائن أحياء، وكان ينبغي أن يكون هذا واضحًا بالفعل من جولة المحادثات الأخيرة في روما، حيث ضاعف الجانب الإسرائيلي شروطه حول المرحلة الأولى من الصفقة.

وكان ذلك واضحًا أيضًا من زيارة نتنياهو الأخيرة إلى رفح، حيث تعهد بأن "إسرائيل" ستحتفظ بالسيطرة على ممر فيلادلفيا إلى أجل غير مسمى.

وقد تساءل رئيس الوزراء القطري محمد بن عبد الرحمن آل ثاني عن كيفية المضي قدمًا في المفاوضات في الوقت الذي قتلت فيه "إسرائيل" نظيرها المفاوض. ففي الواقع؛ كان هنية أحد أعضاء لجنة التفاوض التي ستستمر بدونه.

كان رد فعل آل ثاني اللاذع موجّهًا إلى نتنياهو، الذي فعل كل ما في وسعه لتصعيد التوترات الإقليمية وتقويض موقف الإدارة الأمريكية بشأن وقف إطلاق النار الدائم، ومعارضتها المستمرة لفتح جبهة ثانية في لبنان.

بقتل رجل معتدل مثل هنية، الذي لم يختبئ تحت الأرض بل عاش في العلن، والذي كرّس حياته المهنية للمفاوضات والتواصل مع العالم الإسلامي في قطر وتركيا وإيران، تكون "إسرائيل" قد قتلت زعيمًا قد تحتاجه يومًا ما للتفاوض على هدنة أو وقف إطلاق نار طويل الأمد.

خارج المعادلة

شخصيًا، كان هنية ودودًا، دمث الأخلاق، مستمعًا يقظًا، متواضعًا - كان دبلوماسيًا كاملًا. لم يكن أبدًا ممن يتحدثون بالسوء عن حركة فتح أو الرئيس الفلسطيني محمود عباس.

إذا لم يكن الجيش الإسرائيلي قادرًا على هزيمة حماس أو تعطيلها في غزة، كما يجب أن يكون واضحًا الآن حتى للجيش الإسرائيلي، فإن إسرائيل ستحتاج إلى أشخاص في حماس للتفاوض معهم، ولقد قتلوا أحدهم للتو.

من وجهة نظر إستراتيجية، فإن ما قامت به "إسرائيل" هو جنون. هذه ليست كلمتي، بل تلك التي استخدمها الجنرال الإسرائيلي السابق عميرام ليفين، الذي أضاف، بشيء من الاستخفاف، أنه "كان على قوات الأمن أن تعارض بشدة" هذه الخطوة.

حتى من دون وقف إطلاق النار، كان هنية يساوي بالنسبة لـ "إسرائيل" حيًا أكثر مما يساويها ميتًا.

كان من المعقول أن تقول إسرائيل للجمهور الغربي إنها لن تسلم نتنياهو ووزير الدفاع يوآف غالانت إلى المحكمة الجنائية الدولية في لاهاي بينما هنية أحد الذين وردت أسماءهم في طلب المحكمة الجنائية الدولية لإصدار مذكرات اعتقال، حر طليق يعيش في قطر ويتجول في المنطقة.

وكان من المحتم ممارسة ضغوط على قطر لتسليمه وطرد المكتب السياسي لحماس.

أما الآن وقد خرج من المعادلة، فقد فقدت "إسرائيل" هذا الدفاع؛ كل هذا حقيقته "إسرائيل" بقتل هنية.

تعزير قوة حماس

ما يمكن أن يكون نتنياهو متأكدًا من أنه لم يفعل شيئًا حياله هو إضعاف حماس. فعلى العكس تمامًا.

فهنية، الرجل المتواضع الذي فقد 60 فردًا من عائلته، بما في ذلك الأبناء والأحفاد، على يد "إسرائيل" في هذه الحرب، سيُسجّل اسمه كأحد أعظم شهداء حماس.

في اللحظة التي علم فيها هنية بمقتل أبنائه وأحفاده في سيارات قصفتها القوات الإسرائيلية خلال العيد، كان هنية يزور مستشفى في الدوحة حيث يعالج الجرحى الفلسطينيين من غزة، واكتفى بالقول: "اللّٰه يرحمهم"، لكنه رفض أن يقطع زيارته. انتشر المقطع على نطاق واسع، لأنه تحدث أكثر مما يمكن أن تفعله الكلمات عن قدرته على وضع القضية الفلسطينية فوق حزنه الشخصي كأب.

لقد قتلت إسرائيل عددًا لا يحصى من قادة وزعماء حماس، ولم تزد الحركة إلا نموًا، في المجندين والسلاح والنفوذ السياسي. واليوم، تُظهر استطلاعات الرأي أن حماس ستفوز في الضفة الغربية إذا سُمح بإجراء انتخابات حرة هناك.

حماس التي تقاوم الهجوم الإسرائيلي على غزة منذ 10 أشهر هي أضعاف حجم وقدرات حماس أيام الشيخ أحمد ياسين. فقد قتل مؤسس حماس المصاب بالشلل الرباعي عندما أطلقت مروحية حربية إسرائيلية صاروخًا عليه بينما كان عائداً من صلاة الفجر في غزة، وكان هنية مدير مكتبه. وقد لقي هذا الاغتيال إدانة دولية.

ارتفعت أسهم حماس ولم تنخفض في فلسطين والعالم العربي والإسلامي منذ هجوم 7 أكتوبر/تشرين الأول. وهذا هو السبب الوحيد الذي دفع عباس البالغ من العمر 88 عاماً، الذي مزق باستمرار اتفاقات المصالحة، إلى تكريم غريمه القتل يوم الأربعاء.

وقد أدان عباس عملية القتل ووصفها بأنها "عمل جبان وتطور خطير"، ودعا الفلسطينيين إلى الوحدة. لقد تحدث عباس بدافع الخوف والضرورة السياسية، وليس حبًا في حماس.

في غضون أيام من اتفاق المصالحة بين الفصائل الفلسطينية الذي تم التفاوض عليه في بكين، حاولت وفشلت قوات الأمن التابعة لعباس في اعتقال قائد كتيبة طولكرم المصاب من مستشفى في الضفة الغربية المحتلة.

لذا يمكنك أن تكون متأكدًا تمامًا أن عباس لا ينوي توحيد حركة فتح مع الفصائل الفلسطينية الأخرى. ربما كان مفاوضات فتح في بكين مخلصًا، لكن بالنسبة لعباس، كانت بكين محاولة استعراض فقط، فلم يحدث أي فرق على الأرض في الضفة الغربية المحتلة.

نار في المنطقة... ونار في الداخل

كما أنه ليس من قبيل المصادفة أن يأتي اغتيال هنية بعد يوم واحد من اقتحام الفاشيين الإسرائيليين وأعضاء اليمين المتطرف في الكنيسة الإسرائيلية لمعتقل في محاولة لمنع اعتقال جنود إسرائيليين بتهمة اغتصاب أسير فلسطيني.

إن إشعال النار في المنطقة هو الرد الوحيد لتتياهو على النار المشتعلة في الداخل وعلى عتبة بيته.

لقد ظهر المئات من المعتقلين بروايات مروعة عن معتقل "سديه تيمان" سيء السمعة. وكان موقع "ميدل إيست آي" أول من نشر تقريرًا عن كيفية استخدام القضبان الحديدية والصعق بالكهرباء والكلاب والحرق بالسجائر في تعذيب المعتقلين الفلسطينيين في مراكز الاحتجاز الإسرائيلية.

وقال عمر محمود عبد القادر صمود، الذي احتجز لأكثر من 42 يومًا، إن إحدى الغرف في المعتقل كانت تعرف باسم "الديسكو"، مضيفًا لـ "ميدل إيست آي": "قام أحد الجنود بسحبي على الأرض وأنا عازٍ ومقيد اليدين ووضعني على قطعة من السجاد. وكان الجنود يرشون عليّ الماء البارد المتجمد ويضعون مروحة أمامي. تركوني لبضعة أيام دون طعام أو ماء أو إمكانية النهوض والذهاب إلى الحمام. كنت أتبول

على نفسي وأتوسل إليهم أن يرحموني لكنهم لم يهتموا. وكان الجنود يركلونني على جميع أجزاء جسدي. تخيل نفسك عارياً ومكبل اليدين على الأرض مع خمسة أو ستة جنود يركلونك بأحذيتهم، ويضربونك بالأسلحة والمضارب. ثم طلبوا مني الجلوس. كيف يمكنني الجلوس؟ وعندما لم أتمكن من تنفيذ أوامرهم كانوا يضربونني بشكل أقوى. لقد حطموني تماماً. ظننت أن هذا الكابوس لن ينتهي أبداً". وبعد شهر، قال طبيب يعمل في نفس المركز، لم يكشف عن هويته، إن أطرافاً بُترت بسبب إصابات الأصفاد، مشيراً إلى أن أحد الأطباء الذين يعملون في نفس المركز: "جميعنا متواطئون في خرق القانون".

لم يتم اعتقال أحد ولم يتم التحقيق في أي شيء، ولكن مع تصاعد الضغوط من المحكمة الجنائية الدولية بشأن جرائم الحرب في غزة، إلى جانب قضية الإبادة الجماعية الجارية في محكمة العدل الدولية في لاهاي، شعر المدعون العسكريون الإسرائيليون بأنهم مضطرون إلى التحرك. لا تستطيع "إسرائيل" أن تنكر وجود عملية قضائية محلية لفحص مزاعم التعذيب أثناء الاحتجاز، إذا لم تكن الدولة تستخدمها. لذا، تم اعتقال تسعة جنود متهمين بالاعتداء الجنسي على أحد المعتقلين، مما أدى إلى نقله إلى المستشفى مصاباً بجروح خطيرة في مستقيمه. انهيار الدولة

ما حدث بعد ذلك كان انهياراً تاماً للدولة، على غرار الهجوم الذي شنه أنصار ترامب على الكونغرس في عام 2021.

وقوبلت الاعتقالات بمظاهرات غاضبة عند بوابات سدي تيمان حيث اخترق العديد من المتظاهرين البوابات مؤقتاً. وكان من بين المتظاهرين جنود احتياط، بالإضافة إلى اثنين من نواب اليمين المتطرف: تسفي سوكوت، وهو عضو في الحركة الصهيونية الدينية، ووزير التراث عميحاى إياهو من حزب القوة اليهودية.

استغرق وصول الشرطة ثلاث ساعات. واضطر هرتسي هاليغي، رئيس هيئة الأركان العامة للجيش، إلى قطع اجتماع دفاعي حول رد "إسرائيل" على الهجوم الأخير على هضبة الجولان للتعامل مع الأزمة. وألقى كل من الجيش والشرطة باللوم على بعضهما البعض في انهيار القانون والنظام. وقد تحصن الجنود المتهمون لفترة من الوقت في "سديه تيمان" واستخدموا رذاذ الفلفل للدفاع عن أنفسهم ضد الاعتقال، قبل أن يتم اعتقالهم في نهاية المطاف.

من الخطأ الذي غالباً ما يرتكبه أولئك الذين يصنفون أنفسهم كأصدقاء لـ "إسرائيل" أن يصوروا مثل هذه المشاهد على أنها معركة بين المعتدلين واليمين المسياني المتطرف. وهذا وهم محض، لأن "المعتدلين" يؤيدون تماماً استمرار الحملة الإجرامية على غزة. وقد صوّت "المعتدلون" لصالح مشروع قانون الكنيست الأخير الذي يرفض إقامة دولة فلسطينية.

إن ما يختلفون فيه هو الوسائل وليس الغايات، فالإسرائيليون الذين يتشبثون بهويتهم الغربية هم أسياد الماضي في الاستيلاء على الأراضي الفلسطينية على شكل شرائح سلامي، بمهارة وهدوء ودون ضجة كبيرة؛ ولكن بصبر، عقار واحد، شارع واحد، قضية واحدة في المحكمة العليا في كل مرة. إنهم يهتمون بصورتهم، وبأن يُطلق عليهم لقب منبوذون عالمياً، وبأن يُلصق بهم شخصياً وصف الفصل العنصري أو جرائم الحرب.

أما اليمين الصهيوني الديني، من ناحية أخرى، لا يكتفون بالرأي العام العالمي أو المحاكم الدولية. إنهم يريدون ضم الضفة الغربية الآن، وكلما حدث ذلك أسرع، كان ذلك أفضل.

سمّها صهيونية ذات سرعتين، لكن الهدف واحد: حل الدولة الواحدة التي تهيمن فيها دولة "إسرائيل" الحديثة على أرض "إسرائيل" التوراتية، إن لم تكن تهيمن على أرض "إسرائيل" التوراتية، الأرض الممتدة من النهر إلى البحر.

تعميق التصدعات

ولكن من الخطأ أيضًا التقليل من شأن التصدعات المتفاقمة باستمرار داخل "إسرائيل"، والتي تحدث في خضم حرب كبرى.

فـ"إسرائيل" تصوّر نفسها للعالم الخارجي على أنها الدولة الوحيدة الفاعلة في جوار من الدول الفاشلة. ليس عليك أن تبني دولة في "إسرائيل"، كما تفاخر نتياهو ذات مرة أمام السياسيين الأمريكيين في إحدى إطلاقاته العديدة أمام الكونغرس: "لقد بنيناها بالفعل".

ولكن تلك الدولة تظهر علامات واضحة على الفشل أيضًا.

كان نابليون وهتلر في أوج قوتهم، وكان جيشاهما قد روضا أوروبا تحت أقدامهما، عندما اعتقد كل ديكتاتور أنه من الجيد مهاجمة روسيا.

وكذلك الأمر بالنسبة لنتياهو الذي يعرّض كل ما حققته "إسرائيل" في إقامة دولة قوية للخطر من خلال تهينة الظروف لحرب إقليمية علانية.

يعرف الجيش الإسرائيلي الحقيقة: أن قتل هنية كان آخر شيء يجب أن يفعله إذا أرادوا أن يروا أيًا من رهائنهم على قيد الحياة. إنهم يعرفون أنهم ليسوا مستعدين لمهاجمة جنوب لبنان، لأنهم لا يملكون ما يكفي من الدبابات أو الذخيرة.

وهم يعلمون مدى تسليح حزب الله والحوثيين وجماعات المقاومة الأخرى، ومدى فعالية صواريخهم. ويعرفون الجغرافيا والمسافات، ومدى تأثير سكان "إسرائيل" واقتصادها بالحرب على خمس جبهات في وقت واحد. عندما يهدد حزب الله بإغلاق مطار بن غوريون، أو ضرب الشبكة الكهربائية الإسرائيلية، فهذه ليست تهديدات جوفاء.

فالمؤسسات الأمنية الإسرائيلية تعلم أيضًا أنها في خطر فقدان القيادة والسيطرة على قواتها، وإذا أعطت الأمر بالانسحاب، فقد لا تطيعه وحدات كثيرة.

ترتكب "إسرائيل" بقيادة نتياهو الخطأ التقليدي الذي ترتكبه جميع القوى الاستعمارية، فهي تبالغ في الاعتقاد المسياني بأن اليهود هم حقًا شعب الله المختار؛ وأن الكتاب المقدس أمر بكل ما يحدث الآن، وأن إسرائيل تستطيع تحقيق هدفها المتمثل في النصر العسكري الكامل.

وفي هذه اللحظة بالتحديد، يكون المشروع في أضعف حالاته، ويمكن أن ينهار المشروع.

في السنوات الأخيرة من نظام الفصل العنصري، دخل نظام جنوب أفريقيا في حالة من الهيجان المفرط. فقد قرر الإطاحة بحكومة أنغولا، وتنصيب نظام دمية في ناميبيا، ومهاجمة زيمبابوي وبوتسوانا وزامبيا، وكلها مشاريع غير مثمرة لم تستطع درء انهيار النظام. وتسير "إسرائيل" بقيادة نتياهو على نفس الطريق.

إنه لا يفعل أي شيء سوى الحفاظ على النفس؛ على أولئك الذين يفهمون ذلك أن يتصرفوا قبل أن يورطهم نتياهو في حرب لا يمكنهم إيقافها، ناهيك عن الانتصار فيها.

المصدر: ميدل إيست آي

اغتيال إسماعيل هنية: هدف نتنياهو هو إشعال النار في المنطقة

ديفيد هيرست | نشر في ٢ أغسطس, ٢٠٢٤



رابط المقال: <https://www.noonpost.com/233433/>